المغالاة في شعر المديح عند ابن هانئ الأندلسي

Exaggeration in the praise poetry of Ibn Hani Al-Andalusi

م. م. طعمه عبد عودة
وزارة التربية ـ الكلية التربوية المفتوحة ـ مركز واسط الدراسي
mont67368@gmail.com
Tuam Abid Ouda

المستخلص:
شهد غرض المديح شيوعا وازدهارا بحيث أخذ حيزاً كبيراً من بين الأغراض الأخرى من الشعر والذي ساعد على ازدهاره هم الخلفاء والأُمراء، من خلال ما يظهر عليهم من ولع بالشعر، وانتشاء بسماعه، كما كان للتنافس بين الشعراء لبلوغ الغاية في إرضاء الملوك والخلفاء، إذ كان الممدوحين يغدقون بالعطاء لكي ينشد في مدحهم.
إن القارئ لديوان ابن هانئ الاندلسي، يدرك أن المديح يشغل أكثر من نصف ديوانه، فقد مدح وفق ما تمليه عليه عقيدته، مع استخدامه اللفظ الغريب، والتأثر بلغة شعراء المشرق العربي، وأحيانا يمدح حتى يبلغ حد الكفر، كما فعل حين مدح المعز عندما نزل المعز بمدينة رفادة بجوار القيروان.
الكلمات المفتاحية: المغالاة، شعر، المديح، ابن هانئ، الأندلسي

Exaggeration in the praise poetry of Ibn Hani Al-Andalusi .

Summary:
The purpose of praise has been seen its common and flourishing so that it has become so much space among other objects of poetry that have helped to flourish are the caliphs and princes, through their fondness for poetry, and ecstasy by hearing it, as the competition among poets to reach the goal of satisfying kings and caliphs as the praise was, they lavish tender in order to praise them.
The reader of the divan of Ibn Hani Al-Andalusi, realizes that praise occupies more than half of

reaches the point of disbelief, as he did when he praised Al-Muiz when Al-Muiz descended in the city of Rafada next to Al-Qairawan.

his divan, so praise according to what his faith dictates, with his use of vague meaning, influenced by the language of the Arab orient poets, and sometimes praises even

المقدمة:

الحمد لله الذي ضلَّت فيه الصفات، وتفسَّخت دونه النعوت، العزيز الذي رفع السماوات بلا عروض ولا أوتاد والصلاة والسلام على حبيبه وصفيه، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، إمام الرحمة، وخاتم النبوة، المصطفى محمد وعلى أهل بيته بحور العلم وسفن النجاة، ومنار الهدى، والعروة الوثقى، وعلى أصحابه الذين سابقوا إلى دعوته وأحسنوا صحبته، وأبلوا البلاء في نصرته، وتثبيت نبوته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، وعلى من قفا أثرهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد توالت القرون، ولا يزال الشعر ديوان العرب، وسجل مآثرهم، وتراثهم الأصيل، المعبر عن

أمانيهم وأهدافهم السامية في تهذيب النفوس، وشحذ الهمم، وإعلاء المثل فالتراث الأصيل يظل خالداً لأنه معين لا ينضب ينبع من أعماق الأمة ويصور حياتها الفكرية.

من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع: أهمية غرض المديح من بين أغراض الشعر، إذ يعد من أبرز الفنون الشعرية منذ عصر ما قبل الإسلام، وهو يشكِّل القسم الأوفى من نتاج الشعراء.

وإذا أمعنا النظر في الأسباب التي ساهمت في تطور المديح عبر العصور، أوجب بنا المقام أن نطلع على الأسباب والعوامل المساعدة لتطور غرض المديح في العصر الأندلسي.

ويعد المديح غرضاً من أغراض الشعر ولذلك نحن بصدد أن نذكر أسباب تطور الشعر بصفة عامة حيث كان ازدهار الشعر في الأندلس ونهضته موضع العجب من كل باحث وناقد ولم يختلف أحد في حقيقة هذه النهضة وذلك الازدهار إنما رجعه الكتاب إلى عوامل متعددة من بين هذه الأسباب والعوامل:

١- روح الشاعرية الموهوبة المتأصلة في نفس العربي أينما كان وحيثما ارتحل.

٢- تعدد البواعث التي كانت تلهم الشعراء، وتدفعهم إلى قرضه.

٣- كثرة جمهرة العرب في الأندلس، وتمكن السلطان في أيديهم وشدة عنايتهم باللغة العربية وآدابها.

٤ - طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من المناظر المختلفة ... كل ذلك أكسب

المشاعر انطلاقا والملكات اشتعالا والوجدان لطفا والمعاني دقة والألفاظ جمالا وروعة.

٥-عناية الملوك والأمراء بقرض الشعر حملت الشعب جمعيه على الإقبال عليه حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب ... (١)

هذه الأمور جميعها أدركها ابن هانئ، فهو يمتلك تلك الموهبة، والقابلية على الإجادة في قول الشعر عنايته باللغة، وفهمه للمعاني وجزالة الفاظه، طبيعة الأندلس التي أملت عليه، وحركت شاعريته لتكون ملهما له، هذه العوامل أخذت بيده ليمدح عِلية المجتمع وهم الخلفاء والقادة والأمراء، فكان

لزاما أن ينتقي ألفاظه لتلائم الممدوحين، فاشتملت عباراته على ألفاظ ضخمة راقية معبرة ذات ايقاع

موسيقي، وواقع مؤثر على السامع، وقد ركزت المعاني المدحية عند ابن هانئ، على المعاني الموروثة التقليدية إذ لم يضف شيئا جديدا، هذا ما أثبته ديوانه، فقد كانت جل موضوعاته تتجه نحو الكرم البطولة، الفتوحات، انتصار القادة، أخلاق الولاة وبطولاتهم.

تعريف المديح لغة واصطلاحاً:

اختلف النقاد في تصنيف المديح، فمنهم من عده شرفاً ومزيةً لاسيما إذا كان شعراً صادقاً في المديح مثل المديح النبوي الشريف، ومنهم من وجد المديح اسلوباً من التزلف والنفاق للسلطان والوالي.

فالمديح فن الثناء والإعجاب بشخص الممدوح ، لقد حظي المديح بالاهتمام من الشعراء حاله حال فنون الشعر العربي من عناية بالغة، فتعددت ألوانه ما بين مديح ديني شمل مدح نبينا محمد (صلى الله عليه وآلة وسلم) ومدح آل بيته وأصحابه ،ومديح سياسي توزع بين مدح الأمراء والسلاطين أو بين الولاة من العرب وغيرهم من الموظفين او رجال الدولة بحسب مراتبهم ومراكزهم الادارية والعسكرية وصنف ثالث اهتم بالمدائح الاجتماعية، وشملت مدائح الادباء والعلماء والبارزين من ابناء المجتمع فانصرف عدد غير قليل من الشعراء الى المدح " المدح : مدح: مدحا ومدحه: أحسن الثناء عليه، ضد ذمه. مادحه: مدحه، تمدح: تمادح القوم: مدح بعضهم بعضا. امتدح: اتسع. المدحة: مدح:

الاسم من مدح ما يمدح به- المديح: مدائح- والأمدوحة: أماديح: ما يمدح به- هو ذكر للشمائل والمناقب فنقول: مدحه مدحا أثنى عليه بما له ،الممادح : ضد المقابح " (٢)

أما تعريفه اصطلاحاً:

عُرف المدح بتعريفات عديده منها تعريف الجرجاني له أنه: "الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً ". (٣)

وعرف ايضاً بأنه: " تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشخص لمن توافرت فيهم تلك المزايا ". (٤)

ومن الملاحظ على التعريف السابق تقييده بمن توافرت فيه صفات المدح بالفعل وهو بهذا يكون غير جامع إذ يخرج من المدح ما كان فيه عدم توافر المزايا في الممدوح، والواقع أن ذلك داخل في المدح عموماً سيما وأن المِّعروف كان المدح في الشعر، ومن المعلوم إن الكثير من الشعراء يمدحون من توافرت فيهم المزايا ومن لم تتوافرفيه.

أما في اصطلاح أهل الأدب: "فهو وصف الشاعر غيره بالجميل والفضائل وثناؤه عليه ". (٥)

تعريف الغلو لغة واصطلاحاً:

للغلو معنيان على أقل التقادير، أحدهما في اللغة وهو المعنى الأصلي أو الأولي والثاني في الاصطلاح وسأتعرض إلى التعريف بكلىهما بإيجاز:

مفهوم الغلو لغةً:

أتفق أهل اللغة أن الغلو " ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه " (٦)

وكل المعاني الأخرى تتصل بهذا المعنى.

ففي لسان العرب: "ويُقال غاليت صداق المرأة أي أغليته" واصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، وقيل غلوت في الأمر غلواً، وغلانية وغلانيا إذا جاوزت فيه الحد وافرطت فيه" (٧)

ولا يخرج تاج العروس عن هذا المعنى ففيه : "وغلا في الأمر غلوا كسمو من باب قعد جاوزحده" (٨)وكذلك الأمر في محيط المحيط :"والغلو في الأصل مجاوزة الحد وباقي المعاني متفرعة منه" (٩)

لا يخرج التعريف الاصطلاحي للغلو عن معناه اللغوي فهو " تجاوز حد المعنى إلى غاية لا يكاد يبلغها " (١٠)

رغم أن التعريف يحاول تحديد الغلو بما لا يكون ممكنا عادة ولا عقلا لكن الأمر ليس بهذا اليسر حيث لا يمكن لهذا التعريف أن يخضع للمنطق، فمن خلال استعراض التعاريف التي قدمها النقاد وتطبيقاتهم الشعرية يبدو الأمر مختلفا، فقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ ه) يبدو تعريفه مفصلا وأكثر وضوحا فالغلو عنده هو " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه إلى ما يجوز أن يقع له " (١١) وعندما يعرف القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ ه) الغلو، لا يذكر المصطلح بلفظه إنما يتعرض لباقي المصطلحات: " فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقبح راد، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدها

جمع بيت القصد ،والاستيفاء وسلم من النقص، والاعتداء" [١٢]

في حين أن العسكري (ت ٣٩٥هـ) يفرد للغلو الفصل العاشر من كتابه الصناعتين ويعرفه حيث يقول: " الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها " [١٣]

وأفرد ابن رشيق القيرواني بابا خاصا بالغلو وأعتبر " الإفراط والإغراق من أسمائه وأعتبره محالا لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف "[١٤] وهو تعريف لا يخرج عن المصطلح اللغوي كما قضى ذلك في نهاية الباب.

وعند حازم القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) الافراط والغلو مترادفان فالإفراط " هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حد الإمكان إلى الامتناع والاستحالة " [١٥]

وعند إتمام التعريفات تبين إن هذه التعريفات لا تزيد من الغلو إلا غموضاً؛ فهذه التعريفات قائمة على أن مصطلح الغلو هو "مجاوزة الحد "، وهذا التعريف استخدمه كثير من العلماء.

المبحث الأول:

حياة ابن هاني وبعض الآراء فيه:

محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأندلسي هو أشعر شعراء المغرب على الأطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يُقال له متنبي الغرب، ولد بقرية (سكون) من قرى مدينة إشبيلية في سنة (٣٢٠هـ) ويقال في سنة (٣٢٦ هـ) على اختلاف الروايتين، وله كنيتان إحداهما ابو القاسم والأخرى ابو الحسن، وقيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي.

وقيل هو من ولد أخيه روح بن حاتم، ويُنسب ابن هانئ إلى الأزد فلهذا سمى قصائده أزديه يمنية.

كان ابوه من قرية من قرى المهدية بأفريقيا، وكان أيضاً شاعراً أديباً، فأنتقل إلى الأندلس فولد له محمد المخصوص بالدراسة بمدينة إشبيلية ونشأ بها. [١٦]

كان ابن هانئ شيعياً فاطمياً يجاهر بعقيدته فيكره أهل السنة وأتباع الأمويين، ويغلو في عقيدته حتى يعجز الناس عن إيجاد تأويلات لهذه الأقوال، وأمام هذه الأراء لا يجد الناس وخاصة العامة بداً من رمي ابن هانئ بالكفر والمروق عن الدين، فيغرون به صاحب إشبيلية الذي ساءت سيرته بين الناس لصحبته ابن هانئ، ويضطر إلى أن يطلب من الشاعر أن يتوارى عن أنظار الناس في إشبيلية.

نزح ابن هانئ عن مسقط رأسه بناء على رغبة حاكم إشبيلية الذي أشار عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره، فيعم وجه شطر المغرب الأفريقي حيث حاضرة التشيع

عامرة، وحيث يُدعى للعقيدة علانية ويحميها الخليفة. (١٧)

يرى الكثير أن ابن هانئ ليس له شيء يذكر في وصف الطبيعة الذي هو من خصائص الشعر الأندلسي وكان كالمتنبي في الاحتفال بالحكمة وضرب الامثال، ولكنه لا يجاريه، وحكمه قائم أكثرها على شكوى الدهر، وذكر الموت والتحذير من الدنيا الغرور. (١٨)

اما إذا تطرقنا إلى خصوصيات شعره فإن أهم خصوصيات الشعراء المجيدين التي تجعل شعرهم مؤثراً في قلوب الناس ومقبولاً عندهم قوة بيانهم وجودة كلامهم، فكلما كان بيانهم ناصعاً، وكلامهم واضحاً كان تأثيرهم أعظم وابن هانئ من جملة هؤلاء الشعراء.

وكذلك شعره سهلٌ خالص من التعقيد غير غامض المعنى، بحيث تتمثل معانيه أمام النفس بسرعة ويتلقاه الذهن بأدنى تأمل، والخاصية الأخرى في شعره أنه حسن السبك مليح التأليف، وكذلك شعره مطبوع سالم من التكلف بعيد عن الاستعارات البعيدة والتشبيهات غير المأنوسة، وهو في هذه الخصوصية يماثل شعراء الجاهلية.

والخصوصية الأهم في شعره أن كلامه يتعلق بإشاعة الدين ولأجل هذا نجد في أكثر ابياته تضمين الآيات القرآنية. (١٩)وكان شاعرنا المخصوص بالدراسة معروفاً بتشيعه ومجاهراً بهذا التشيع حيث يقول من البسيط: (٢٠)

لي صارمٌ وهو شيعي كحامله
يكادُ يسبقُ كراتي إلى البطلِ

فاض شعر ابن هانئ بحب ومدح آل البيت يقول في أحد قصائده التي مدح بها أمير المؤمنين(ع)من الكامل: (٢١)

نازعتم حقّ الوصيّ ودونه حرمٌ وبرٌ مانعٌ وحجونُ
ناضلتموه على الخلافةِ بالتي ردّت وفيكم حدّها المسنونُ
حرَّفتموها عن ابي السبطينِ عن زمعٍ وليس من الهجانِ هجينُ
لو تتقون الله لم يطمحْ لها طرفٌ ولم يشمخْ لها عرنينُ
لكنكم كنتم كأهل العجلِ لم يحفظْ لموسى فيهم هارونُ

ومن قصائده الجميلة المطولة والتي تعد في غاية الجودة قصيدته الميمية التي فيها الدلائل الواضحة على أنه شيعي، وتقع في مائتي بيت يذكر فيها الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته من الطويل: (٢٢)

فلا حملت فرسانُ حربٍ جيادها إذا لم تزرهم من كميت وأدهمِ
ولا عذب الماء القراح لشاربٍ وفي الأرضِ مروانيةٍ غيرُ أيِّمِ
ألا أن يوماً هاشمياً اضلهم يطير فراش الهام عن كلِّ مجثمِ
كيوم يزيدٍ والسبايا طريدة على كلِّ موّار الملاط عثمثمِ
وقد غصّت البيداء بالعيس فوقها كرائم أبناء النبيِّ المكرَّمِ
فما في حريم بعدها من تحرَّجٍ ولا هتكُ سترٍ بعدها بمحرَّمِ
فإن يتخرَّم خيرُ سبطي محمّدٍ فإن وليَّ الثأرِ لم يتخرَّمِ

كان ثمن الهوية الشيعية وفاته، فأكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن ابن هانئ متفقون على أن وفاته كانت في سنة (٣٦٢ هـ) في مدينة برقة ولكنهم لا يتفقون على كيفية الموت ولا سببه فقد أُختلف في كيفية الوفاة فقيل ابن هاني قُتل مخنوقاً ببرقة، وابن خلدون وابو الفداء وابن الأثير يقولون إنه كان مع المعز عندما توجه إلى مصر، ولما وصل إلى برقة قُتل ابن هانئ غيلة [٢٣]، وقيل إنه وجد في سانية من سواني برقة مخنوقاً بتكة سراويله، وتوجه أصابع الاتهام إلى الأمويين في مقتله حيث يقول زاهد علي في شرح ديوانه: "أن بني امية كانوا من أعدائه، وأنهم بذلوا ما في وسعهم واستفرغوا مجهودهم في منعهم إياه عن الوصول إلى المعز، فلا يبعد أن يكون بعضهم قد استعمل الحيلة في قتله بإنزاله معه ضيفا وفتكه به " [٢٤]

بعض أراء العلماء فيه:

ابن هانئ كباقي الشعراء الذين كان لهم الحظ الأوفر من الدراسة، فكُتب عنه الكثير من قبل النقاد

والأدباء والشعراء فكان ذا منزلة عظيمة عندهم فسنحاول التطرق لقيمته مستشهدين ببعض أقوالهم.

يقول الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب: " كان ابن هانئ من فحول الشعراء وأمثال النظم وبرهان البلاغة، لا يُدرك شأوهُ، ولا يشق غباره مع المشاركة في العلوم والنفوذ في فكّ المعمَّى " [٢٥]

ويذكره الحُميدي في سِفرِه حيث يقول: " محمد بن هانئ شاعر أندلسي كثير الشعر مُحسنٌ مجودٌ إلا أن قعقعة الألفاظ أغلب على شعره" [٢٦]

وكذلك يذكره ابن خلكان الذي كان شاعراً والذي نقد كثير من كلام الشعراء في تاريخه

" وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الأطلاق وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة " [٢٧]ويقول ياقوت الحموي فيه: " ابو القاسم الأزدي الاندلسي أديبٌ شاعرٌ مُفلق أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق " [٢٨]

ونلاحظ قول الحموي يتطابق مع رأي ابن خلكان في تشبيه ابن هانئ بالمتنبي.

ويمدحه الفتح بن خاقان بقوله: "هو علقٌ خطير، وروضٌ ادبٌ مَطير، غاص في طلب الغريب حتى أخرج درَّه المكنون، وبَهَرج بافتتانه فيه كلَّ الفنون وله نظمٌ تتمنى الثريا أن تُتوَّجَ به وتُقلَّد، وَيَوَدُّ البدرُ أن يكتب فيه ما اخترع وولَّدَ، زهت به الأندلس وتاهت، وحاسنت ببدائعه الاشمس وزاهت، فحسد المغرب فيه المشرق، وغصَّ به من بالعراق وأشرق ". [٢٩]

وفي كتابه من الفتح إلى سقوط الخلافة يذكره احمد هيكل حيث يقول: " سمتان لابن هانئ، هما الحدة الشعرية، والمذهبية السياسية إذ تبدو حدة ابن هانئ في كم اعماله الشعرية، فهي في الغالب قصائد وأغلب تلك القصائد من النوع الطويل المفرط الطول، حتى إن بعضها يتجاوز مائتي بيت، أما السمة الثانية وهي المذهبية السياسية، فتبدو في كون ابن هانئ شاعرا مذهبيا لا يؤمن بالفن فقط، وإنما يستخدمه في تدعيم مذهب يميل إليه ويدعو له " [٣٠]

ومن المستشرقين الذين ذكروا ابن هاني في كتبهم فان كريمر، وهامر، وهورات، وقد ترجم فان كريمر بعض أشعاره إلى اللسان الألماني ويقول فيه: " قوة البيان وكثرة التمثيلات، وجودة الألفاظ التي لا يكاد يقدر عليها من الشعراء إلا القليل هي الأوصاف نشرت صيته، ورفعت ذكره، وجعلته من الشعراء المحسنين فلذلك سمته المغاربة متنبي الغرب، فلا شبهة في كونه مستحقاً لذلك الاسم "

وأما المتأخرون الذين ذكروا ابن هانئ فهم ابن ابي الحديد، والشيخ بهاء الدين العاملي، وصاحب القصيدة الكرَارِيَة. [٣١]

المبحث الثاني: أسباب الغلو وجماله

قبل التطرق الى أسباب الغلو ومدى جمال النصوص التي يوجد فيها غلو لابدَ من التطرق الى الآراء والمواقف من الغلو بصورة موجزة.

فقد أثار الغلو جدلاً واسعاً بين النقاد وأصحاب البلاغة من العرب القدامى، أ يُعد من محاسن

الكلام أم أنه فقط تضخيم يلجأ إليه الشاعر إذا خانته شاعريته؟ ولم يحسم الخلاف، بل ظل مفتوحا للآراء المختلفة أحياناً والمتفقة أحياناً أخرى وغير المحسومة.

بدر الدين محمد الزركشي صنف دارسي المبالغة في ثلاث فئات حسب مواقفهم:

– أولهما: إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة.

– وثانيهما: إنها الغاية في الحسن وأعذب الكلام ما بولغ فيه.

– وثالثهما: وهو الأصح، إنها من محاسن الكلام، ولا ينحصر الحسن فيها فإن فضيلة الصدق لا تنكر ولو كانت معيبة لم ترد في كلام الله عز وجل. (٣٢)

لكن المواقف من الغلو لم يكن بهذا الوضوح دائماً فأحياناً يكون للناقد الواحد رأيان مختلفان في نفس الوقت، وأحياناً أخرى يكون موقف الناقد فاتر غير محدد، ومحسوم ولذلك قسَم النقاد المواقف إلى ثلاث طوائف:

– الطائفة الأولى: وهذه مساندة إلى الغلو بكل وضوح وشفافية.

– الطائفة الثانية: وهذه رافضة للغلو رفضاً قاطعاً.

– الطائفة الثالثة: هي تضم النقاد الذين يملكون مواقف متباينة أو غير محددة والشراح والملخصين الذين رددوا عبارات منقولة متطابقة.

وبعد بيان مواقف النقاد منه بصورة موجزة، لا بد من البحث في أسباب انتشاره فالظواهر الأدبية لا تُولد فجأة بل تظهر تدريجياً إلى أن تنتشر، والغلو لم يشذ عن هذه القاعدة، فهو وإن كان موجوداً بصورة قليلة في العصر الجاهلي، حيث أخذ بالتكاثر والبروز إلى أن غدا ظاهرة أدبية في العصر العباسي والعصور التي تلته.

وكما نعلم ان الأدب هو مرآة عاكسة لحياة قائليه يرسم خطوطها بصدق، وقد شهد الأدب العربي

تحولاً كبيراً على مر العصور، وأصبحت الأليات البلاغية من مبالغة وإستعارة وكناية طابعاً مميزاً فلم يعبر عن الحياة، ولم يعد يعكس البساطة والوضوح، ولم يلتزم الحقيقة.

ولا بد لهذا التغيير من أسباب ودوافع، فلا يمكن ان يقرر الأدباء فجأة انتهاج الغلو لأن التحول

الأدبي لا بد من ممهدات ولا بد أن يتوفر له الزمن الكافي ولا يمكن أن يخلق من العدم، وإن التطورالذي حصل في الحياة والبيئة له أثر في ذلك ايضاً، وإن اجتماع الثقافات والتراث على مر العصور

وتفاعلها مع بعضها أثمرت لدى الأدباء وكون الأدب نوع من النشاط الإنساني يطرأ عليه ما يطرأ

على أنواع النشاطات الأخرى، فيمكن عد أسباب الغلو بمحورين اساسيين، أسباب حضارية وأسباب

نقدية، فضلاً عن البعد النفسي للأديب.

– **الأسباب الحضارية:**

وتشمل كل ما طرأ على الحياة العربية من تغيير سواء كان في أنظمة الحكم أو في مظاهر الحياة
الاجتماعية او العادات اليومية مما انعكس على الادب، وكان السبب في انتشار الغلو، فالعلاقة بين الحياة الاجتماعية والادب علاقة وطيدة.

"ان العلاقة بين الادب والحياة الاجتماعية أخذ وعطاء من كلا الجانبين، لا تجري على وتيرة واحدة لا في الفواصل الزمنية ولا في الزخم والاندفاع، وقد يهدف الأدب الى تصوير هذه الحياة تصويراً صادقاً كونها ترسم صورة للحياة في عمومها دون أن تنحصر في المظاهر الجزئية لأنه انحسار زاوية الرؤية بمعايير ناقصة لا يؤدي إلا إلى الافتقار والتشوية" (٣٣)، والمجتمع العربي عامة والأندلسي خاصة جمع أسباب الحضارة المترفة واختلط بالأمم المجاورة له فأخذ ما عندها وأضاف إليها، فالحياة الأندلسية مختلفة عن الحياة المشرقية بجمال طبيعتها وفخامة قصورها وأناقة ملبسها ومجالس الأدباء واللهو والترف الذي كان يمتاز به الأندلسيين، وكان لا بد على الشاعر أنَّ يراعي هذا التغيير والعمل على إرضاء ممدوحة، مما أوصل بجعل الممدوح – الحاكم او الخليفة– إلى التشبيه بالخالق للفوز برضاه والبعد عن غضبه ، وهذا ما سنجده في مديح ابن هانئ الاندلسي.

– الأسباب النقدية:

إنَّ استهلاك المعاني والألفاظ والصور لم يعد يثير انتباه المتلقي، فكان لزاماً الوصول إلى طرق اخرى للتجديد في الأدب العربي وجذب الانتباه له، وهذا يتم باللغة كونها الوسيلة التي من خلالها يعبر بها الأديب عما يجول في خلجات نفسه، وهي وسيلة لتصوير الانفعالات والعواطف لدى الأديب، فيعمل على صياغتها في قالب أدبي محكم يخدم فكرته، وهي تُعد وسيلة إلى التعبير والخلق الأدبي، وكذلك هي المادة الخام التي يصوغ منها الأديب كائناً ذا ملامح وصفات ، وذا نبض وحركة وحياة ، يحمل صورة زاهية متحركة ، فيمكن عدَّ الغلو أحد هذه السبل ليزيل .

" الرتابة عن الاشياء، ويكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود تقدم لنا عالمنا هذا القديم ونفوسنا هذه التي تلابسنا بشكل جديد مدهش ويحرك الفكر ويثير التأمل، وينشط الشعور بالغضارة والبكارة ويعيد الكائن البشري الى مكانه من العالم وصلته العميقة بكل مظاهره وظواهره" (٣٤)

فالغلو جزء من هذا فيجدد اللغة الشعرية ويعيد لها هويتها، وجاذبيتها، ويكسر الروتين الذي سقطت فيه المعاني من كثر التكرار.

وللغلو أهمية قصوى في الصورة إذ تصبح " الصورة البديعية صورة شعرية معبرة ومميزة

لا سيما إذا انتهجت نهج الغلو والإغراق واعتمدت المبالغة والإفراط " [٣٥]

وقد عاش شاعرنا ابن هانئ في ظروف أتصفت بالتطرف ورغبت الناس فيه وهو ما تجلي فيروح التعالي وحب الذات وتضخم الشعور الذي وجد في الغلو متنفساً نفسياً وفنياً لتلك الظواهر، كما قيل " وبشكل عام نستطيع ان نقول إنه بين إدراكنا للمواقف ووقوفنا على طريقة المجابهة لهذا الموقف تحدث عملية بالغة في التعقيد، وهذه العملية المعقدة تتأزر مع الاحساسات وصور الاحساسات فتضفي على التجربة الانفعالية طعمها الخاص بها، ونكهتها التي تميزها" [٣٦]

وأتخذ الشعراء الغلو وسيلة للتجديد بعد سيادة التكرار على المعاني والصياغة، كما أصبح الغلو الوسيلة لتمثيل المعنى وتأكيده.

ولقد أكد الدكتور الاخضر عيكوس أهمية الغلو في الصورة حين قال: " تصبح الصورة البديعية صورة شعرية معبرة، ومنيرة لاسيما إذ أنتهجت نهج الغلو والإغراق وأعتمدت المبالغة والإفراط " [٣٧]

وفي بحثٍ أخر وصف الغلو بالرقي حيث قال " ولعل من أنواع الصور البديعية وأرقاها غلواَ التي تقوم على عنصر المبالغة وأعتمد فيها الشاعر الإيغال والغلو، فيغرق في تشبيهاته ويفرط في معانيه حتى تبلغ حد المستحيل " [٣٨]

ونجد مصداق ذلك في قول الشاعر المخصوص بالدراسة ابن هانئ من الكامل: [٣٩]

شارفتُ اعنان السماء بهمتي

ووطئت بهرام النجوم بأخمصي

إذا نظرنا إلى هذا البيت من زاوية العقل لكان غلوا وإفراطا مستحال الوقوع، فلا أحد يستطيع أنَّ يطأ المريخ بأخمصه لكن إذا نظرنا إليه بوصفه صورة شعرية فابن هانئ أراد من خلال هذه الصورة أن يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه من الفخر بنفسه ومن وصف مجده.

فقد شارفت أعنان السماء همت الشاعر فقد وطيء المريخ بما لا يصيب به الأرض من باطن القدم وهذه الجزئية الأخيرة هي التي أعطت الصورة غلوا فهو لم يضعْ قدمه كلها مثل البشر على المريخ بل وضع أخمص قدمه الذي لا يُصيب الأرض به أبدا حتى على الكوكب الذي يسير عليه الناس ، و هنا يكون التشويق والجد فلو أن الشاعر استخدم وصفاً عادياً لم يكن حينئذ لصورته وقعاً أو معنى في النفس " فالارتباط غير المتوقع لا يمكن انتقاده في الشعر، بل ربما كان هو المطلوب المحبوب، رغم إن الحقيقة الواقعة لا تقبله ، ذلك إن هذا الارتباط يكون دائماً شيئاً جديداً يحمل الإثارة، على أن هذه العلاقات الجديدة التي تُكشف دائماً لا يتوصل إليها الشاعر أو الفنان بطريقة

منطقية مستأنسة يقبلها العقل و يرتاح لها من حيث هي نسق من النظام الطبيعي بل تَحصل هذه العلاقات في النفس دفعة واحدة "(٤٠)

وكذلك عندما ننظر إلى الأبيات التي يمدح بها أبا الفرج محمد بن عمر الشيباني حيث يقول فيها من البسيط: (٤١)

حلفت بالسابغات البيض والتليب ... وبالأسنة والهندية القضبِ
لأنت ذا الجيش ثم الجيش نافلة ... وما سواكم فلغو غيرُ محتسبِ
ولو ثنيت إلى أرض الشام يدا القت ... إليك بأيدي الذلِ من كثبِ

ابن هاني يرى القائد الشيباني بطلاً اسطورياً خارقاً من العصور القديمة، وهذا القائد يمتلك ويتصف بقدرات خارقة لا يمتلكها باقي البشر، فهو عنده بمثابة جيش بكل عدده وعدته، بل لم يكتفِ بذلك وإنما عد الجند مجرد لغو لا يمكن عدهم، ومصر تكفيها إشارة صغيرة من سوطه لتكون رهن أشارته، ولا يحتاج في ذلك إلى قوة الخيل ولا السلاح، والشام أيضا تكون بين يديه بمجرد ثني يديه، وفي الشطر الأخير استعارة جميلة صورت مدى قوة المخصوص بالمدح، فكل ما أراده قد حصل عليه دون أدنى مقاومة أو جهد منه.

فابن هانئ كان لا يمكنه رسم هذه الصورة والوصول إليها بدون الغلو؛ لأن شعره عندها سيصبح مجرد اقتباس أو إعادة لصور سابقة معروفة كالتشبيه بقوة الأسد أو وصف كثرة القتل في المعركة، أو التركيز على جيش الأعداء وشجاعتهم.

استغنى ابن هانئ عن ذلك كله وركز على قدرات المخصوص بالمدح كما أشرنا سابقاً، فكل شيء رهن إشارته دون قتال، وهذا ما لا يمكن وقوعه، لكن المبالغة والشعر عموما لا يخضع للعقل.

فأكد كثير من النقاد، على عدم ضرورة الصدق في العمل الشعري مثل ابي الهلال العسكري حين قال:

" وأكثره – يعني الشعر – قد بُني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، وشهادة الزور وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفضله، وليس يُراد منه إلا حُسن اللفظ وجودة المعنى، هذا هو الذي سوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه، وقيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب في شعره، فقال:

" يُراد من الشاعر حُسن الكلام، والصدق يُراد من الأنبياء" (٤٢)

وهذا ما أكده قدامة بن جعفر حين قال: " إذ أن الشاعر لا يوصف بأن يكون صادقاً، إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني – أياً كان ذلك المعنى – أن يجيده في وقته الحاضر وحسب لا أن يُطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت أخر " (٤٣)

وفي قصيدة أخرى نراه يمدح المعز حيث يقول من الطويل: (٤٤)

جواد كأن اليمَّ فيه نفاثةٌ ... وكأنما الدنيا عليه غثاءُ
ملِكٌ إذا نطقت علاه بمدحه ... خرِس الوفود وأفحم الخطباءُ
هو علة الدنيا ومن خُلقت له ... ولعلة ما كانت الأشياءُ
لا تسألنَّ عن الزمان فإنَّه ... في راحتيك يدورُ كيف تشاءُ

خاطب ابن هاني وغالى في مكانةِ المعز فالمعز شخصٌ جواد لا يضاهى، والبحر يتضاءل أمام جوده وكرمه، والدنيا تصبح أمامه صغيرة لا قدر لها كزبد البحر حيثُ جعل من المعز علة الوجود، وكل الأشياء مخلوقة من أجل المعز، ويشير الشاعر إن علا الممدوح وشرفه أسمى وأبلغ من مدح الوفود والخطباء الذين تخرس السنتهم أمامه، ثم يختم الشاعر قصيدته بأن يجعل من الزمان ملكاً بين يدي الخليفة المعز يتصرف به كيف يشاء، من جانب العقل والمنطق لا يوجد بشر على وجه الكون يجعل الزمان طوع بنانه يتصرف به كيف يشاء.

وفي نص أخر نراه يضفي على المعز صفات الإله حيث يقول من الكامل: (٤٥)

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ ... فأحكم فأنت الواحد القهارُ
وكأنما أنت النبيِّ محمد ... وكأنما انصارك الأنصارُ
أنت الذي كانت تبشرنا به ... في كتبها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمام المتقين ومن به ... قد دوخ الطغيان والكفارُ
هذا الذي ترجى النجاة بحبه ... وبه يحط الاصر والأوزارُ
هذا الذي تجدي شفاعته غدا ... حقاً وتخمد أن تراه النارُ

نجد الشاعر أضفى على الخليفة الممدوح صفات الخالق حيث جعل من المعز إمام كامل؛ حتى يصل إلى ما تمليه عليه تعاليم العقيدة الاسماعيلية ليصوغ لشخصية متكاملة تنسجم والشروط التي يجب أن تتوفر في الإمام والخليفة لرسول الله، فقد جعل من المعز هو الواحد القهار وهذه من صفات الله عز وجل وكذلك شبه بالنبي محمد (صلى الله عليه وآلة وسلم) ويجعل أنصاره كأنصار النبي، وان توظيف الفاظ (الذات الالهية) في رسائله إحدى الاليات الاساسية المؤدية الى الغلو بما يجعل القارئ مذهولاً أمام هذا التعظيم الذي يضفيه الأديب على ممدوحة، بأن يرسم الممدوح في صورة متفردة متعالية على البشر ويرتفع به إلى مستوى الإله ،وينسب إليه القوة الخارقة الخارجة عن طاقات البشر.

وفي موضع أخر نراه يمدح المعز ويضفي عليه صفات جمة حيث يقول من الطويل : [٤٦]

غدوا ناكسي أبصارهم عن خليفةٍ ... عليم بسر الله غير معلّمِ
وروح هدىً في جسم نورٍ يُمدّهُ ... شعاعٌ من الأعلى الذي لم يُجسَّمِ
ومتصلٍ بين الإله وبينه ... ممر من الأسباب لم يتصرَّمِ
إذا أنت لم تعلم حقيقة فضله ... فسائل به الوحي المُنزَّلَ تعلم

وهذه مِنَ صور الغلو في شعر ابن هانئ في مدح المعز فالناس يغضون أبصارهم عند الخليفة العليم بسر الله والذي هو روح هدى في جسم نورٍ فجسم المعز لم يعد مادة ترابية، بل هو نورٌ يمده شعاع لا ينقطع والنور لا يمكن أن يدخل في حيز، ولا يكيف ولا يحيد، فالشاعر يحاول أن يرسم صورة الممدوح حيث تتمثل فيها كل الصفات التي يقدرها المجتمع، وان كانت بعيده عنه.

ويقول في موضع أخر من الطويل: [٤٧]

ألا إنّما الأقدارُ طَوْعُ بَنانِهِ
فحارِبْهُ تُحْرَبْ أو فسالِمْهُ تَسْلم

ونجد ابن هانئ يبالغ ويغلو بكل درجاته فيجعل من القدر طوع بنان المعز يتصرف به كيف ما يشاء وهذا لا يمكن لأي شخص كان.

وفي موضع أخر يقول من الكامل: [٤٨]

ماذا نقولُ جَلَلْتَ عن أفهامنا حتى استَوَيْنا أعجماً وفصيحا
نَطَقَتْ بك السَّبعُ المثاني السُنا فَكَفَينا التعريض والتَّصريحا
وَجَدَ العيانُ سناك تحقيقاً ولم تُحِطِ الظَّنونُ بكُنْهِهِ تصريحا
صُوِّرت من ملكوت ربّك صورةً وأمدَّها علماً فكنت الرَّوحا
شَهِدَتْ بمفخرك السَّمواتُ العُلى وتنزَّل القرآن فيك مديحا

ففي هذه الابيات يذهب به الغلو مذهبا كبيراً حيث أنه يجعل من المعز ذات لا تدرك حقيقتها

تحدثت عنها فاتحة الكتاب، تراه العيون ولا تدركه الافهام ولا الظنون، صوره الله من الملكوت

ونفث في هذه الصورة علماً فكان الروح، وما جاء القرآن إلا مادحاً له، وقصيدة المديح في هذا الطور ليست مدحا وإشادة بصفات يتحلى بها الممدوح فحسب، وإنما هي مسرح يستعرض الشاعر من خلاله تعاليم العقيدة الباطنية وأسرارها التي يؤمن بها، وقيمها التي يتعلق بها.

ونلاحظ مما سبق إن مديح الشاعر للمعز جاء على طورين، فالطور الأول لم يكن الشاعر قد تسلح بتعاليم العقيدة الإسماعيلية بعد؛ لذلك خلت هذه الحقبة من الغلو في المعز.

أما الطور الثاني تظهر ملامح العقيدة الإسماعيلية في شعره، حيث كانت أثاره واضحة في نفسيته وشعره فراح يغلو في شعره في شخص المعز، وأخذ يطلق النعوت الإلهية من علم يدرك به الغيب

والعفو عن المذنبين، والشفاعة بمن يريد يوم الحساب، وتقسيم الارزاق، وغيرها من الصفات التي أختص بها الله عز وجل.

وإذا ما انتقلنا من مدح المعز إلى مدح الولاة وقادة الجيش لدى المعز كجعفر وأخيه يحيى وكذلك القائد جوهر الصقلي وابو الفرج الشيباني، فنرى ابن هانئ لا يضفي عليهم الصفات الإلهية كالمعز وإنما يمدحهم ويغلو في هذا المدح بما لديهم من أحساب وأنساب، وكذلك بما يملكون من شجاعة فائقة وكرم والذكاء الوقاد، وكذلك العلم والحكمة وغيرها من الصفات العالية، والأخلاق النبيلة الفاضلة التي كانت يتحلى بها الفرسان جاعلاً من ممدوحيه الأنموذج المثالي الذي تتطلع إليه النفس والخيال.

حيث يقول في مدح جعفر من الكامل: (٤٩)

يَهَبُ الكتائبَ غاناتٍ والمها
مُستَردفاتٍ والجيادِ عِرابا
قد باتَ صَوْبُ المُزن يسترقُ النَدى
من كفَه فرأيتُ منه عُجابا

وكأن ابن هاني يرمي من وراء كل ذلك إلى أن يثير في الممدوح أريحيته، ويحرك فيها عنجهيته للبدل فالممدوح كريم يهب الكتائب والمها والجياد، وليس ذلك فقط وكأن المزن يغار منه فيقلده في العطاء.ونراه في موضع أخر يمدح جعفراً حيث يقول من الطويل: (٥٠)

جزيلُ الندى والباس تصدُرُ كفُّه ... وقد نازلَتْ ألفاً وقد وهبَتْ ألفا
يدٌ يستهلُّ الجود فيها معَ النّدى ... ويعبَقُ منها الموتُ يوم الوغى عَرفا
وما سُدّدَ الأملاكُ من قبل جعفرٍ ... ولا أنكروا نُكراً ولا عرفوا عُرفا
هُمُ ساجلوه والسّماحُ لأهله ... فأكدوا وما أكدى وأصفوا وما أصفى
يغولُ ظُنون المُزْنِ والمُزْنُ وافرٌ ... ويغرقُ موج البحر والبحرُ قد شفّا
فلو أنّني شبّهته البحرَ زاخراً ... خَشيتُ بكون المدحِ في مثله قذفا

ابن هانئ يضفي على أبياته حيوية تناسب غرض الشاعر في مديح جعفر حيث يقول إن يد الممدوح ينصب منها الجود مع نداوة عَرَقها وفي المقابل تفوح منها رائحة الموت في ساحات الوغى

ويذهب الشاعر بالغلو في وصف الممدوح حيث أنه لا يوجد في الزمان الذي مضى ملكٌ موفق ومرشداً الى السداد مثل ممدوحة، وكذلك يبن الشاعر إن ممدوحة لا يستطيع المطر أن يدرك كنه جوده فمكارم الممدوح ومفاخره مثل البحر، وثناء الشاعر له كالزبد الذي لا خير فيه.

حيث أن القارئ لهذه الأبيات يجد ان المآثر الأخلاقية غالباً ما جاءت مشفوعة بالأفعال، بالشكل الذي يعطيها طابعاً حركياً ينعكس على جو القصيدة ؛لأن التراكم المتوالي للأفعال يمتلك دون شك القابلية على أن يضفي على الصورة الشعرية حركة وحيوية، فالأفعال مسؤولة غالباً عن ارتخاء الحركة في القصيدة أو توترها ليس عبر علاقة هذه الأفعال بعضها البعض بل عَبر طبيعة الفعل المنتقى الذي أحسن ابن هانئ في اختياره بما يتناسب والغرض المنشود في إظهار جود الممدوح وسماحته، فالصورة التي قدمها الشاعر تنبض بالحياة في شتى جوانبها حتى أن البحر يغرق في جود ممدوحه .

وفي موضع أخر يمدح جعفر من الطويل: (٥١)

كأنَّ لهم من حادث الدهر سائقاً يسوقُهُم أو حاديا بهم يحدو
كأنَّك وكلت الغَمام بحربهم فمن عارضٍ يمسي ومن عارض يغدو
كأنَّ عليهم منك عنقاء تعتلي فليس لها من أن تَخَطَّفهم بدُّ

الشاعر ابن هاني ء يبدو أنه كان مدركاً لما يريد قوله ،إذ أنه أيقن بانتصار جعفر على أعدائه وإلحاق الهزيمة بهم ، ففي هذه الأبيات يشير إلى الدهر ،حيث أنه ألزم نفسه بإلحاق الهزيمة بأعداء جعفر فأوكل بهم سائقاً يحدو بهم ويقودهم إلى الهلاك المحتوم ،ولم يكتفِ الشاعر بذلك بل أوكل الأمر إلى الغمام – غمام العذاب – لتلحق الأذى بأعداء الممدوح ، وبرع الشاعر هنا في استغلاله لعلو الغيوم في معالجة أعداء جعفر من خلال اشرافها عليهم جميعاً ، فتطلق عوارضها عليهم أينما حلوا وفي أي وقت سواء في المساء أو الصباح ،وبعد ذلك ينتقل للمزج بين صورتين، الصورة الأولى صورة الغمام أما الثانية صورة طائر العنقاء الخرافي ، الذي كذلك أخذ على نفسه مهمة هزيمة أعداء جعفر والشاعر استخدم مصطلح العنقاء للدلالة على هلاك أعداء جعفر جميعهم .

وقد يصل حد الغلو بجعل مكانه او منزلة الممدوح، كل شيء سُخر له او هو الذي يسخر كل شيء بأمره سواء في البر أو البحر ويجري بأمرهِ وكأنه سبحانه وتعالى.

وكثير ما يكون الغلو مصدر الاثارة، والجمال في الصورة الشعرية بما يمنحه من غرابة وغموض ولجدة ما يعرضه الأديب فيه من مغالاة تدهشنا وتخالف ما ألفنا أو لأن فيه شيئاً من الإحالة والبعد عن معقول الناس، وفي الأبيات التي مرت نجد ابن هانئ يبالغ ويغلو بكل درجاته في مدح الممدوح، وجعله رمزاً للبطولة والوفاء والكرم.

وفي موضعٌ أخر يمدح يحيى حيث يقول من السريع: (٥٢)

لكُلِّ قوْمٍ سَيّدٌ ماجِدٌ لكِنّ يحيَى سَيّدُ الخَلْقِ
كأنّمَا في كَفّهِ للْوَرى مَفاتِحُ الآجَالِ والرِّزق
الحوْضُ حوضُ اللّه في كفّهِ يَطفَحُ من مَلءٍ ومن فَهْق

ففي هذه الأبيات نلاحظ الشاعر يغلو في مكانة يحيى إذ يجعله سيد الخلق في كفه حوض الرزق يقسم منه بين الناس وفي يمينه آجالهم يمد لهم بها او يقصر.

واعتقد أن الشاعرلجأ الى التضمين من القران الكريم بقوله: " مفاتح الآجال " حيث أقتبسه من قوله تعالى " وعنده مفاتح الغيب" الأنعام ٥٩" فأتى بهذا التضمين لإبراز الصورة واعلاء شأن الممدوح وبيان أهمية الغلو في الصورة ورقيها.

ومرة أخرى يمدح يحيى ويبالغ في مدحه له حيث يقول من الطويل:(٥٣)

فلا تسألاني عن زماني الذي خلا ... فو العصرِ إني قبل يحيى لفي خُسر
فيا ابن علي ما مدحتك جاهلاً ... فإنَّك لم تُعدَلْ بشفعٍ ولا وتر

في هذين البيتين نلاحظ تملق الشاعر إلى الممدوح والمبالغة في مدحه، والهدف من ذلك تحقيق المنفعة والقرب من الممدوح، وليحقق ذلك ارتأى الشاعر الاقتباس من القرآن الكريم وتضمينه في شعره، حيث أن قوله " فو العصر ولفي خسر" فهذه مقتبسه من قوله تعالى: "والعَصر (١) إن الإنسَ ان لفي خُسر" "العصر ٢،١" وكذلك قوله " بشفع ولا وتر" مقتبس من قوله تعالى " والشفِع والوتر" الفجر" ٣ فحرص ابن هانئ على تضمين أبياته بنصوص من القرآن الكريم؛ لأن النصوص القرآنية لها الأفضلية والريادة على باقي النصوص، لا سيما إذا ما عرفنا أن النصوص الأخرى قد يصيبها الضعف والوهن، على العكس من النص القرآني الذي يتصف بالأسلوب المتميز، والبلاغة العالية والثبات.

ويبالغ ويغلو كثيرا شاعرنا في مدح يحيى حيث يقول من الكامل:(٥٤)

إن السماء لدون ما ترقى له
والنجم أقرب نهجك المسلوك

ولا ندري أين سيرقى الممدوح إذا كانت السماء دون ذلك المكان الذي يطمح إليه، ففي هذا البيت حاول الشاعر الوصول إلى أبعد ما يسمح به المعنى ليكون أكثر تأثيراً وفيما يبدو من الصورة التي قدمها الشاعر، أنه تعدى مرحلة المبالغة في وصف مكانة الممدوح.

وعندما يمدح أبو الفرج الشيباني نراه كعادته يغلو في مديحه حيث يقول من البسيط: (٥٥)

ليثُ الكتيبة والأبصارُ تَرمُقُهُ ... وبيضة الخدرِ في الليل الدجوجي
ولا يُحَدَّثُ إلا عن سَوابِقِه ... من أعوجي جوادٍ أو صريحيّ

ما كنتُ أحسب أن الدهر يَزْلُفُ لي بحاتمٍ في الليالي غير طائيّ
إذا بَنو مرةٍ صلَّوا عليك فلا صلت أيادٌ على كعب الأياديّ
بل شسعُ نَعلِك عدنانٌ وما ولدت بل أنت وحدك عندي كلُّ إنسيّ

فالشيباني المقصود بالمديح أسد ضرغام يتفحص الكتائب وترمقه العيون، بل أكثر من ذلك الشاعر يفضل الممدوح على عدنان ومن ولد عدنان بل يغلو حين يفضل شسع نعله على اشرف القبائل العربية وفي هذا غلواً كبيراً ، ونلاحظ أن مدحه لشخص الشيباني بقي ضمن الموروث فهو قوي وفي الوقت نفسه كريم ، وذكره لشخصية حاتم وإياد لإظهار قيمة الممدوح ، والملاحظ ان ذكر هذه الشخصيات قد أدى دوراً مهما في النص ، لما لها من صفات إيجابية وخاصة في غرض المدح وهذه الشخصيات قد تفاعلت مع الحضارة العربية بجميع مراحلها واصبحت معياراً للمراحل التالية فاذا ذكر كريم إلا قيس بكرم حاتم الطائي ، وقد اتخذت هذه الشخصيات مرجعية يقاس عليها الرجال، وهو بنظره أكرم منهم.

الخاتمة

نستشف مما سبق أن هناك جدلاً دار حول الشاعر ابن هانئ، فقد اختلف في تاريخ ولادته وكذلك اختلف في سبب وفاته على الرغم من اتفاق المؤرخين على تاريخ وفاته، من خلال دراستنا حياة الشاعر رأينا أن الشاعر لم يكتب شعراً أو جاء بشعرٍ أقل ما يقال عنه قليل في وصف الطبيعة على الرغم من أن اغلب إذا لم يكن أكثر الشعراء الأندلسيين جل أشاعرهم في وصف الطبيعة. أما إذا ما رجعنا إلى مديح الشاعر فإن أغلب شعره جاء بمدح المعز الفاطمي، ومر بطورين

الطور الأول كان في بدايات الشاعر ولم يكن متسلحاً بتعاليم العقيدة الإسماعيلية، وفي هدا الوقت لم يأتِ الشاعر بأشعار فيها غلو في مدح المعز.

اما إذا ما انتقلنا إلى الطور الثاني من حياة الشاعر وجدناه قد تسلح بتعاليم العقيدة الإسماعلية وأخذ الشاعر يقول الأشعار التي كان فيها غلواً في شخص المعز، حيث نعته بأوصاف هي خاصة بالله عز وجل مما دفع كثير من العامة إلى اتهام الشاعر بالكفر والمروق عن الدين.

فقد جاءت ألفاظه ممزوجة بين ألفاظ حسية وأخرى متخيلة في مدح المعز مما يبين لنا عن مقدرة شعرية فذة يمتلكها الشاعر، حيث كان يتصف شعره بقوة البيان وجودة الكلام، مما انعكس إيجابياً على مدائحه، أما شعره في مدح قادة جيش المعز، أو الولاة على

الأمصار فإنه لم يضفِ عليهم الصفات الإلهية كالمعز وإنما بالغ في مدحهم من خلال وصفهم بما لديهم من كرم، وشجاعة، ومكارم الاخلاق وعلم، أما إذا ما رجعنا إلى الموقف من الغلو فقد رأينا أن هناك ثلاث أراء منه.

رأي مساند له وأخر رافض له تماماً والرأي الأخير جمع النقاد الذين لديهم مواقف متناقضة من الغلو أو غير محددة.

الهوامش:

١- مصطفى السيوطي، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٣١١

٢- المنجد في اللغة والاعلام، ص ٧٥١، المعجم الوسيط، ص٨٥٧

٣- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢ص،٦٣٥

٤- زين الدين محمد، التعريفات، ج٢، ص٥٩٠

٥- ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٨٩

٦- ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة غلو

٧- ابن منظور، لسان العرب، مادة غلا

٨- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة غلا

٩- البستاني، محيط المحيط، ص٦٦٥

١٠- ابو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص٣٥٧

١١- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص٢١٤

١٢- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤٢٠

١٣- ابو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص٣٥٧

١٤- ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده ،ص٢٨٧

١٥- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٧٦

١٦- زاهد علي، تبين المعاني في شرح ابن هاني، ص ١٩-٢٠

١٧- د. منير ناجي، ابن هانئ الأندلسي درس ونقد، ص٦٣- ٦٤

١٨- ديوان ابن هانئ، ص٨

١٩- زاهد علي، تبين المعاني في شرح ابن هاني، ص٢٩

٢٠- ديوان ابن هانئ، ص٣٠٦

٢١- المصدر نفسه ص٣٥٥

٢٢- المصدر نفسه ص٣٢٢ -٣٢٣

٢٣- د. منير ناجي، ابن هانئ الأندلسي درس ونقد، ص٧٠

٢٤ – زاهد علي، تبين المعاني في شرح ابن هاني، ص٢٣

٢٥- المصدر نفسه، ص٢٣

٢٦- زاهد علي، تبين المعاني في شرح ابن هاني، ص٢٤

٢٧- المصدر نفسه، ص٢٣

٢٨- نفس المصدر، ص٢٧

٢٩- المصدر نفسه ص٢٤

٣٠- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٤٢

٣١- زاهد علي، تبين المعاني في شرح ابن هاني، ص٢٨

٣٢- محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص٥٥

٣٣- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، باب ملامع عامة للحياة
الاجتماعية والثقافية
٣٤- محمد حسن عبدالله ، الصورة والبناء الشعري، ص١٢٢
٣٥- أ. أ ريتشاد، مبادئ النقد الأدبي، ص١٥٣
٣٦- المصدر نفسه، ص١٥٣
٣٧- الأخضر عيكوس، مفهوم الصورة الشعرية حديثاً، ص١٥٥
٣٨- المصدر نفسه، ص٩٤
٣٩- ديوان ابن هانئ، ص١٨٠
٤٠- إسماعيل عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ص٧٠
٤١- ديوان ابن هانئ، ص٥٤
٤٢- ابو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص١٣٦-١٣٧
٤٣- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٢٣
٤٤- ديوان ابن هانئ، ص١٢
٤٥- المصدر نفسه، ص١٤٦
٤٦- الديوان، ص٣١٥
٤٧- المصدر نفسه، ص٣١٦
٤٨- الديوان، ص٧٣-٧٤
٤٩- المصدر نفسه، ص٥٠ – ٥١
٥٠- الديوان ص٢١٠- ٢١١
٥١- المصدر نفسه ص١٠٨
٥٢ – الديوان ص٢٣٠-٢٣١
٥٣- المصدر نفسه ص١٥٤- ١٥٥
٥٤- المصدر نفسه، ص٢٥٣
٥٥- الديوان، ص٣٧٩ – ٣٨٥

المصادر:

القرآن الكريم
١- ابن هانئ الأندلسي درس ونقد، د. منير ناجي، دار النشر للجامعيين، ط١، ١٩٦٢
٢- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف القاهرة مصر ط١٩٨٠
٣- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، مصطفى الشكعة، باب ملامح عامة للحياة الاجتماعية والثقافية، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، ط١٢ ، ٢٠٠٨
٤- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، مديرية دار الكتب الطباعة والنشرالموصل،١٩٨٩
٥- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق إبراهيم ابو الفضل، دار المعرفةبيروت، ط٢ د ت
٦- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١ ٢٠٠٧
٧- تبين المعاني في شرح ابن هاني، زاهد علي، مطبعة المعارف، مصر، ط ١٣٥٢هـ

٨- التشيع في الأندلس، محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط ٢٠٠٤
٩- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢ ط١، ٢٠٠٠م
١٠-التفسير النفسي للأدب، إسماعيل عز الدين، دار العودة لبنان، ط٤، ١٩٨١
١١-جمهرة اللغة، ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن، اعادة طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد
ط ١٣٥١هـ
١٢- ديوان ابن هانئ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، ط ١٩٨٠
١٣- الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف القاهرة، د ط
١٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق وشرح مفيد قميحة، دار الكتب
العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٣ ٢٠
١٥- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو
الفضيل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط ١٩٨٦
١٦- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، دار بيروت، ج٢ ط١٩٥٦
١٧- مبادئ النقد الأدبي، أ. أ ريتشاد، ترجمة د. مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة ط١٩٦٣
١٨- محيط المحيط، البستاني، مكتبة لبنان، ط ١٩٧٧
١٩- المديح، سامي الدهان، دار المعارف مصر، د ط
٢٠- المعجم الادبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين
٢١- المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، ج٢ تحقيق مجمع اللغة العربية
٢٢- مفهوم الصورة الشعرية حديثاً، مجلة الآداب، الأخضر عيكوس، جامعة قسنطينة، العدد الثالث سنة ١٩٩٦
٢٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق محمد الحبيب بن فوجه، دار الكتب الشرقية تونس، ط ١٩٦٤
٢٤- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، طبع في مطبعة الجوائب قسنطينة، ط١، ١٣٠٢هـ
٢٥- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد ابو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية لبنان، د ت